الرفضُ السياسي والأجتماعي في شعرِ فارس حرّام

أ.د. عبد العظيم رهيف السلطاني

ايمان فالح جاسم

hum176.eman.falah@student.uobabylon.edu.iq

Search Results

This research examines the most important forms of political and social rejection in Fares Haram's poetry, presenting a critical vision of the political and social reality in his homeland. Haram's poetry is characterized by its precise observation of the injustice, displacement, and killing that have led to the destruction of society, expressing his strong rejection of the political system before and after 2003. The poet focuses on criticizing the ruling class, which has failed to protect the rights of individuals and ensure a decent standard of living for them. The poet presents a realistic picture of his vision of the political situation, demanding a just government that achieves justice and dignity for the people.

الرفضُ السياسي والأجتماعي في شعرِ فارس حرّام

أ.د. عبد العظيم رهيف السلطاني ايمان فالح جاسم

نتائج البحث

يتناول هذا البحث أهم أنواع الرفض السياسي والاجتماعي في شعر فارس حرام، حيث يقدم الشاعر رؤية نقدية للواقع السياسي والاجتماعي في وطنه. يتميز شعر حرام برصد دقيق للظلم والتهجير والقتل الذي أدى إلى تدمير المجتمع، معبرًا عن رفضه الشديد للنظام السياسي قبل وبعد عام 2003. يركز الشاعر على انتقاد الطبقة الحاكمة التي فشلت في حماية حقوق الأفراد وضمان العيش الكريم لهم. يقدم الشاعر صورة واقعية عن رؤيته للوضع السياسي، مطالبًا بحكم عادل يحقق العدالة والكرامة للشعب.

اولاً: الرفض الاجتماعي

يوصف بعض الشعراء بأنَّهم صورة لمجتمعاتهم وصورة لطبقتهم التي يمثلونها، فالشاعر يعبر عن مجموعة من القضايا الاجتماعيَّة؛ لأنَّه ابن الواقع وابن ذلك المجتمع، يُقدِّم تصوراته لما يريده المجتمع، وينقد الظواهر السلبية التي تعيش في تلك الأوصاف المجتمعة. ويحاول أن يُقدِّم بديلاً عنها أو صورةً أفضل مِنها؛ عن طريق النقد والرفض أوّلاً، ومِن ثمَّ ينطلق إلى الثانية فيما بعد، ((فالرفض والإباء وعدم الرضوخ ومجابهة التحدي معطيات إنسانية كريمة، تتألق خلال المسيرة الزمنية الطويلة للأمم، وتتجلَّى صورها بشكلٍ طوليّ عبر أعمال شعريَّة متناثرة، أو صراع فرديّ محدود، أو إجماع قبليّ متميز بمظاهر التوافق والانسجام، وتأخذ هذه المظاهر

أشكالاً متفاوتة، وتنبثق من خلال التضاد الحسِّيّ المتوثب، وتتعالى بطريقة تعبيرية حادة إذا شعرت بالتحدي)) [1]، لذا نرى تجلياتها في أعمال دون أخرى لدى شعراء بعينهم دون غيرهم، لذا ((فالأمم الحية التي تمتلك من دواعي الوجود والاصالة ما يدعوها إلى هذا الرفض والإباء هي التي تقف شامخة بوجه التحديات، وترفع رأسها عاليا على الرغم من كل الأساليب التي تحاول إذلالها؛ لأنها ترتبط بما يهيئ لها هذا الشموخ، وتتصل بما يدعوها إلى هذا التعالي))[2]، بالارتكاز على مبادئها وقيمها وأصالتها وارتباطها بحاضرها.

فرفض الأفكار الاجتماعيَّة قد يتم عن طريق رفض الأفكار السياسيَّة ورفض الأفكار الدينيَّة، ورفض الأفكار الفلسفيَّة والاجتماعيَّة وغيرها، والتي يراها الشاعر في مجتمعه ومن ثمَّ يحاول أن يُقدِّم صورة عنها، وهو في الآن نفسه يعترض عليها ويُقدِّم تصوراً لها بأنَّ رفضه لها هو رفض المجتمع لها؛ لأنّه لسان حاله المعبر عن مجتمعه، ((ولعلَّ مِن أسمى المهام التي يقدمها هذا النوع من أنواع الرفض هو تلك التي تكمن وراء ارادة التغيير، وليس في استجداء الراحة والسلام)) [3].

فمِن تلك الظواهر التي يرفضها هي فكرة النفاق الاجتماعيّ، ومِن الظواهر التي يرفضها هي فكرة العلاقات التي تكون ما بين كبار السن من الرجال والفتيات الصغيرات، ومن تلك العلاقات التي يرفضها هي صورة الفقراء الموجودين في المجتمع ويرى أنَّ مسؤولية الدولة هو إعانة تلك الطبقة والوقوف معها وإسنادها وتلبية احتياجاتها. ومن تلك الأفكار التي يرفضها هي فكره الغربة الاجتماعيَّة؛ لأنها غربة نفسيَّة ذاتيَّة قبل كلِّ شيءٍ وغيرها من تلك الأنواع

والأفكار الخاصَّة بالرفض، وهو برفضه ينمّ عن عقليَّة واعية وفكرٍ متحررٍ فهو لا تحدّه الحدود ولا تقيده قيود يطرح لأفكاره بما يؤمن بها بكونه شاعراً حرّاً ابن بيئته وثقافته، ولكنه غير مستسلم لهذه البيئة ولهذه الثقافة ولهذه الحكومة والأعراف والتقاليد المجتمعيَّة، التي بات بعضها قيوداً على الشاعر ومن معه ((بحيث أصبح هذا الرفض المستمر للعالم هو الوسيلة الوحيدة التي يحافظ بها الانسان على كرامته))[4].

يقدم الشاعر في قصيده (شعرك) بعداً اجتماعيّاً للرفض حين يقول في بداية قصيدته:

مَن مِن الناس مثلي؟

إذا خرج من بيته

استضاء

بسواده شعرك؟

إلى أن يقول فيها موضحاً رؤاه التي يرد أن يوصلها للمتلقي:

كلما عرضت معرفتي على سواده زدت جهلاً

العراق في حرب أهليه وشعرك يتفلسف وحده

القصة الحقيقية شعرك[5]

هنا يذهب الشاعر من هذا المنطلق للآخر وهو المرأة بأنَّ سواد شعرها هو رمز لكلِّ الوجود، الذي يحيا من أجله فهو ينسى نفسه، وينسى مشاكله، وينسى مجتمعه، ورؤى حين يرى

شعره فهو النور والبصيرة وهو كلّ بالكل هنا نرى الشاعر يذهب إلى نوع من أنواع الغربة النفسيَّة التي يعيش في خلالها التي يعيش فيها وخصوصا حين يكرِّر أدوات الاستفهام في هذا النص؛ لأنَّه يريد أن يُعبِّر عن رفض المجتمع والعادات والتقاليد وما يجري في العراق من خلال الآخر وهو المرأة، وهو رفض ذاتي يذهب اليه، فهنا يُعبِّر عن علاقة خاصَّة بين الشعر والشاعر وبين المجتمع بصورة عامَّة ((فالمجتمع يطلب الخضوع للمعايير السائدة (سواء كانت معايير اجتماعيَّة أو عقليَّة أو فنيَّة)، ومتطلبات الذات الإبداعيَّة تختلف عن ذلك فهي تحتاج تجاوزاً وتخطياً للمعايير السائدة، ويفرض المجتمع معاييره بأشكالٍ مختلفةٍ منها؛ المعارضة، والعقاب والإهمال ويخلق هذا التعارض بين النوعين من المتطلبات تنافراً معرفيّاً))[6].

يذهب الشاعر في قصيدته المعنونة (الشيخ الكرباسي) إلى نوع من انواع الغربة والرفض الاجتماعي حين يقول :

مجليا روحك الغريبة

عن أرض

براها تزاحم " الديدان"

ساهرا في التراث

وهو وحيد

وبعيد

وليس من ندمان

عابرا عصرنا إلى لغة العرب

مغطى

بعجمة الغربان

أكلاً شارباً مع النحو حتَّى سئل النحو :

أنتم اثنان؟[7]

فهو حين يُقدِّم رؤيته هذه إلى الشيخ الكرباسي إنّما يُقدِّم تصويراً لنوع من أنواع الرفض الذي يمارسه الشيخ الكرباسي في علاقته بالمجتمع الذي عاش فيه هؤلاء، فيرى أنَّ حاله كحال الشيخ في غربته في مكان ليس فيه ندمان ولا أصدقاء، فقط هو ومؤلفاته والنحو رفيقاً لهما؛ لأنَّ الشيخ الكرباسي متمكناً من أدواته اللغويَّة أو مُقدماً الكثير من الكتابات التي تخدم الفكر والتراث العربي.

ويُقدِّم الشاعر البعد الاجتماعيّ الآخر الذي يرتبط بالبعد السياسيّ، والذي يرفضه رفضاً باتاً مثلما يرفض قضية استئثار فئة دون غيرها فيقول[8] :

تصرخ الجماهير عطشى

فتدوي

ويخرج النهران

وتفيض الدماء

قتلى وجرحى

يملأون انتفاضة الاحزان

ثم نهدأ،

فثمَّ صمت مريب

ثم ننسى دماؤنا

في ثوانٍ

وكأن الأوطان خطة تيه

لضياع الساعين في الأوطان

وكأن العراق صوت فريد

لارتضاء الاشياء باللا مكان

فشبّه حالة الاعتياد والمداومة على سيلان الدم العراقي نتيجة الفتنة الطائفيَّة أو نتيجة القتال والتحارب ما بين أبناء الفئة الواحدة، بأنَّه شيء اعتيادي، فكأنَّ لا قيمةَ للدم العراقيّ الذي يسفك في مناسبات عديدة، لأسباب لها دواعيها الطائفية ولها دواعيها الاجتماعيَّة ولها دواعيها السياسيَّة. والذي يذهب به أبناء الطبقة المسحوقة من الفقراء الذين يقدسون هذه الفكرة بالخضوع والرضوخ والتضحية لأجل من لا يستحق.

ومِن هذا الرفض الذي يبحث فيه الشاعر وهو الرفض الاجتماعيّ قوله من قصيدة (قلت أعيد الرواية) حين يقول:

إنَّني تدربت أن اجعل فانوسي نفسه مبحوثاً عنه

مفتشاً

عن الوقائع والأوهام

في مكان واحد

أن تقلب السترة هو ان تقلب الفكرة

أن توجد الشيء هو ان تكتفي بالتكلم

فلماذا أغضب إذاً وهذه هي الحياه المعاصرة

طنان من الملاعق كل سنة[9]

يقدم الشاعر هنا نقده للحياة المعاصرة، والنقد يشمل أصنافاً كثيرةً وأنواعاً عديدةً من الرفض، نرى فيه الرفض والقلق النفسي والتساؤل حين يجعل الرفض موجهاً من الذات نحو الآخر؛ لأنَّ الآخر ذات في الوقت نفسه، وكما يقول د. زكي نجيب محمود: إنَّ هناك الكثير من العوامل التي تحرِّك ثقافة العصر، فتواجهها الذات بالقبول أو الرفض، ومن هنا تتحدد العلاقة بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه[10].

ويذهب الشاعر فيها إلى العنف أو الرفض الاجتماعي أو الديني، واذا عرفنا للتكنولوجيا المعاصرة هيمنة على حياة الناس بكلِّ مفاصلها ولم تجعل لهم منها عودة، فلا مهربَ منها، ولا نتعافى من العُري المرتبط بها، فهم مكشوفون تجاه العالم وتجاه بعضهم

البعض وهذا الأمر يجعل من الحرية فكرة مستعارة، وفكرة لا يمكن البدء منها؛ لأنَّ حرية الإنسان مصادرة في هذه التكنولوجيا المُتعددة حتَّى أنَّها تذهب بالوجود الإنساني من ذاته وتجعل كلَّ شيءٍ مقيداً ومسحوباً إلى فكرة التكنولوجيا. حتّى فكرة النوم نفسها تصبح فبعيدة المنال فيذهب ذلك النظام المخصَّص للصحو والغفوة في الآن نفسه، فيصبح الشاعر أسيراً لتلك الحياة التكنولوجية المُعاصرة. فالشعر بعدِّه صنو الأدب لا ينفصل عن الظروف العامة السائدة في هذا المجتمع أو ذاك[11] فنرى أنّ التكنلوجيا قد عملت عملها في جعل الشاعر رافضاً لهذا الواقع المفروض عليه لحيثيات معينة قدّمها شعراً.

وفي قصيدة سابقة قد قدَّمه الشاعر وهي قصيدة " لماذا نخاف" وقد نشرها في إحدى الصحف[12] يبيّن هذا التراتب المجتمعي بين طبقتين؛ الطبقة الأولى وهي طبقة السواد الأعظم من الشعب، والطبقة الثانية هي طبقة هؤلاء الذين حكموا وأصبحوا جزءاً من الواقع بقوله:

لماذا نخافُ؟

ونحن كثيرون مهما صمتنا

وأنتم "قليلون" شكلًا ومعنى

ونحن وأنتم نقيض

في لغةٍ خاف فيها "المضافُ ؟إليه" .. وخان

"المضاف"؟

هنا بنية السؤال تكون داعمة لها ومؤكدة بنية التوكيد لتستعين بها على المقاومة والرفض والتمر والثبات والمواجهة للآخر المضاد للشعب والحريات، حين يُقدِّم تلك الثنائية

(القلة/ الكثرة) (كثيرون/ قليلون) (المضاف إليه/ المضاف) (نحن /أنتم)، وهما على النقيض بين الواقع والمأمول، لذا يكون الرفض المجتمعي بنية مهيمنة ومتجلية في القصيدة يُعبِّر عن حال الشعب تجاه هؤلاء، ويتكأ عليها بادئاً إياها ببنية الاستفهام ليختمها بالتورية عن حال الواقع، مستفهماً كذلك إنكاريًّا بقوله:

في لغةٍ خاف فيها "المضافُ ؟إليه" .. وخان

"المضاف"؟

فالمعنى القريب هو أن الشعب وهو " المضاف" قد خان " المضاف إليه" في لعبة بلاغية بأسلوب يرمز إلى الواقع، بأنَّ هؤلاء الذي جاؤوا من وراء الحدود قد خانوا من أضافهم، وقد أصبحوا هم السادة والعكس صحيح، ولكنَّه، يختمها بالاستفهام الإنكاري لما آل إليه هذا الحال ليبيّن رفضه لهم[13].

ثانياً: الرفض السياسي:

الرفض السياسيّ الذي يطرحه الشاعر فارس حرام ليس انتصاراً لفئة سياسيَّة مثَّلت النظام على حساب فئة أخرى. فهو يرفض كلا النظامين الذين حكما العراق "قبل 2003" و"بعد

2003"؛ لأنهما لا يختلفان كثيراً بنظره، ففي كليهما حصل ظلم وقتل وتهجير ونهب الثروات والخيرات وتفكيك أواصر المجتمع وأواصره. ويرى أنَّ بعض المتغيرات التي قبل 2003 عمَّا بعد 2003 قد تكمن في جانب حرية الكلام التي يمكن أن يُعبِر عنها الشاعر، لكنّه يرفض طبقة السياسيِّين التي جاءت بعد 2003 بالكامل؛ ويرى أنَّهم حكموا باسم الدين، وفي زمنهم وجدنا تشجياً للطائفية. ونهباً لخيرات هذا البلد. وهو حين يرفض طبقة 2003 فهو يرفضهم بكلا الطائفتين اللتين حكمتها البلاد، سواء أكانوا من الطائفة السنية أم من الطائفة الشيعية. هذه هي النظرة الكليَّة للواقع السياسيّ في شعر فارس حرام.

والشاعر بموقفه هذا ينسجم وما يقول به غاستون باشلار:((فلسفة الرفض (النفي) ليست إرادةً سالبةً، فهي لا تنطلق من تناقض يعارض بدون أدلَّة، ويثير جدالات فارغة وغامضة، وهي لا تتهرب منهجيّاً من كلِّ قاعدة، إنَّها خلافاً لذلك كله، وفيةً للقواعد داخل منظومة قواعد، إنَّها لا تسلم بالتناقض الداخلي، ولا تنكر أي شيء كان بمعزل عن الأين والكيف، بل تستولد من سياقات محدَّدة، جيداً الحركة الاستدلالية التي تميزها والتي تعين إعادة تنظيم العلم على قاعدة واسعة))[14].

وهو حين يُقدِّم تصوراته شعراً – سنبين ذلك فيما بعد من خلال الشواهد الشعريَّة – فهو يطرحها بأدلته، ولا نراه ينزل إلى مستوى الإسفاف والتدني في الالفاظ أو خدش الحياء وما شابه ذلك، ففكره السياسيّ في الرفض هو فكر واضح ينطلق من فكرة عدم وجود حاكم عادل يلبي طموحات ورغبات وآمال الشعب، وهو يُقدِّم صورة واقعيّة، لتصوراته التي يوافى بها بعمق،

والأديب الحقيقيّ – كما يقول لافريتيسكي هو الذي يسمو على الجانب السطحي للواقع، ، ويعكس حراكها الداخلي ويبيّن القوى التي تحددها، ومثل هذا الإبداع لا يمكن ان يتخلّف عن الحياة، إنّه يعيد خلق المضامين الجديدة الذي تطفح بها الأشكال الخارجية للحياة، ويكافح ضد الأشكال المزيفة لكشف عريها وزيفها عن طريق الاختراق [15].

وحين نستقرأ شعره ككل نرى أنَّ هذه الطبقة السياسية التي يرفضها وينتقدها لم تأتِ بدولة مؤسسات تضمن حقوق الفرد والعيش بكرامة. لذا نراه يُكررها في أكثر من مرة كما نراه في هامش القصيدة الموسومة بـ (آه.. صدَّام [أو "أنتم سادة"][16] بأنّها أُلقيت فيه عام 2010 في مكان معين ثم أعيدت في مكان آخر وقرأها في مكان آخر ونشرها لأكثر من مرة، وهكذا فهو يوضح هذا التوجه السياسي الرافض لتلك الطبقة ككل، ويصرَّ عليه. ((الرفض لكي يحمل معنى المجابهة الفاعلة يجب أن يكون رفضاً إيجابياً يحقِّق تغييراً، لا أن يكون رفضاً سلبياً يخلو من أيّ هدف، ولا يحقّق شيئاً على الاطلاق، وإنّما يكون رفضاً من أجل الرفض، وحسب [...]، وهذا هو التمرد هو دون المرض لأنّه يظلُّ بلا أملٍ))[17].

نجد هذا الفكر السياسي الرافض في قصيدته (إلى مروان وعبد السادة) يقول الشاعر:

أقول لناقد هذا النص

بأنَّي أكتب لا شيء

واني اتموج هذه اللحظة في بغداد على شاطئ

دجلة بالماضي المتكرر بالقتل المتكرر في شكل الامواج

المتكررة

وأخشى أن تتزنجر آلات النسيان المخزونة في غرف

النوم

ويصبح اهل القتلى والجرحى اغلفة لمجلات لا هي للحرب

ولا هي للسلم[18]

يقدم الشاعر في هذه القصيدة وهي من القصائد المهمة التي يوضح فيها رفضه لرؤية واسعة ولأكثر من طرف متعددة في المجتمع العراقيّ حين يأتي بالرمزين "مروان وعبد السادة" فأحدهما رمز للإنسان في الطائفة الشيعية والآخر من الطائفة السنية، وهما شاعران في الوقت نفسه، فيأتي بحال ما سيصبح عليه حال العراق بدءاً من الأعراف والتقاليد التي يعيشها أفراد كِلا الطائفتين مروراً بالتعليم ومن ثم التغذية الراجعة التي يعيشها هؤلاء؛ ليصبح كل مِنهما ممثلاً للنظام الجمهوري والآخر ممثلا عن النظام الملكي في إشارة إلى النظام الملكي السني

ح هذا القتال في أنّهما في معبر واحد بأنَّهم أبناء الوطن الواحد، يتقاتلون لا لشيء إلاّ بمراد السلطة ومراد السياسيين، وبسبب بعض الأعراف والتقاليد. وهنا ينقد المجتمع وينقد السياسة وبين المتقاتلين فئة من هؤلاء، وأولئك لا علاقة لهم بالأمر وهم في حيرة من أمرهم (ويمثلهم مروان وعبد السادة). وينقد كل ما يؤدي بالأطفال والأبناء

الذين يأتون إلى الحياة دون ذنب بأن يكونوا شيعة أو سنة ويكون أحدهما ضد الآخر دون دليل وغاية سوى تغليب مصلحة أحد الأطراف السياسيِّين على الطرف الآخر.

ويرجع الشاعر مرة تلو الأخرى متسائلاً عن مصير مروان وعبد السادة الذين لا علاقة لهم بهذا أو ذاك من الفريقين المتقاتلين، وهما فريقا العميان الذين يتقاتلون دون بصيرة وبلا دراية عن سبب القتال أو معناه بقوله :

أفكر في مروان وعبد السادة..

كيف يسيران مع العمر إلى جيش "المملكة" أو "الجمهورية" في أرض المسحوقين[...]

أفكر في عبد السادة في مروان

يلتقيان مصادفة في أرض الجبهة وسط قتال العميان [...]

في ذكرى البيت وكيف الحرب وأين الاوطان

ويعترفان

بانهما في الجبهة خزانان كبيران

لدمع الأم، وكراسان

لحبرِ السلطةِ والكره[19]

في هذا النص السابق من قصيدة طويلة يمتزج لدينا الرفض بأشكاله النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية، فهو يعبر عن رؤيه الشاعر كما يقدمه السياسيون ورجال الدين المتطرفون

من أفكار يذهب هباءً بسبب المسحوقين من البشر في هذا المجتمع، وهذه إشارة لما كان يحدث ويحدث ويجري في كلِّ زمانٍ ومكانٍ مِن صراعات وفتنٍ بين أبناء المذهبين لا يفتتحها ويفعلها المسحوقون من الطبقتين ، بل يفعلها رجال الدين والمتطرفون والسياسيون، الذين يلعبون على تلك الحبال الرخوة؛ لإبقاء المسحوقين في الجهل والتطرف بغياب العلم والتعلم الحقيقي وهو ما يؤدي إلى ضياع دولة المؤسسات ، وضياع تلك الدماء التي ستكون رخيصة في نظرهم وستنسى بعد حين، ويقدم نظرته هذه بقوله:

في بغداد وفي البصرة في كلّ مكان من أرض المسحوقين:

كان الملأ الأكثر من "وعاظ الجامع" و"الساسة"

منهمكين

بضبط مقاسات السنة والشيعة في التاريخ

بحفر خنادق للشعراء المتجهين من السنة للشيعة أو بالعكس

ومنهمكين بحفر خنادق تنهار بها اللغة العربية، يصبح تصريف

الفعل الماضي عمل النسوة في المنزل يصبح كل الزمن

النحوي غريباً في المقهى

ويقلب في الشاي رماد القتلى المحرومين

كان الملأ الأكثر من يعارض الجامع والساسة

" مغرومين "

وكانت التهم في الحب الديني مسننة الاطراف

تجرها أفئدة السنة والشيعة في التربان[20]

فالشاعر حين ينقد من خلال خطابه الشعري لا ينقد بدون دليل، ولا يُقدِّم رفضه بدون دليل فهو حين ينقد السياسة والدين لأنّ "وعاظ الجامع" كما يسميهم الدكتور على الوردي بـ"وعاظ السلاطين" و"وعاظ السياسة" هم من يؤلبون الناس على بعضهم البعض. ومن ثم يتطرق الشاعر إلى بعد آخر يخص اللغة العربية ويخص التعليم والتعلم لها، لفئة من الذين يمزجون الدين بالسياسة، حين يجعلون اللغة العربية تنهار بكلّ ما فيها من علامات الرفع والنصب والجر والتصاريف المعروفة ، التي يذهبون بها إلى أبعاد أخرى، ليجعلوا اللغة العربية غريبةً في أهلها، فيستعملون لغةً قديمة غريبة يؤثرون بها على البسطاء من الناس..

ثم يُقدِّم الشاعر تصوراً آخر إلى نوع من أنواع النقد الاجتماعي أو الرفض الاجتماعي لفكرة النقد التي يتلقفها هؤلاء النقاد المتشبثين بفكرة ما حين يقول:

اذ يجتاح النقد العربي منازلهم في الليل ، يفجر فيهم منتحروه قصائدهم

كل من مروان وعبد الساده يكتب شعرا مقتولا في ارض المسحوقين

وليس مصادفة أنَّ المسحوقين سواد السنة والشيعة في أرض المسحوقين

فحين ختم نقده السياسي والاجتماعي ورفضه لما يجري في الواقع وما جرى في بغداد وغيرها من المدن، ذهب إلى رفض وظيفة النقد التي تدور في أغلب الأحيان في الليالي، وفي السواد

لأن تلك الوظيفة عقيمة لا تنتج فائدة ولا تبني رأيا ولا تقدم فكرا، بل همها هو الهدم والتراجع كأداة من أدوات السلطة .

ويُقدِّم الشاعر بعداً آخر من أبعاد الرفض السياسيّ والديني السائر على غير الطريق السليم، لأنّهما قد فعلا بالإنسان العراقي والعربي المعاصر ما فعله من تراجع من الآلام، مِن القتل والحصار والتشريد حين يأتي بقصيدته "من دون أن ألتفت" يقول فيها:

ألعب

والعب

في قاعة

أكبر قليلاً من الغرفة

اسمها العالم،

منغمساً

ومنكسراً

في أكواب الحاضرين

وبالتحديد

في

شخصية الملعقة

وألعب

وألعب

قبالة تكرار من الكواغد واللحم

اسمه الدين والطائفة

والجمهور الذي يشجعني منذ الطفولة

اسمه الكراهية[21]

يجعل الشاعر البؤرة المركزية في قصيدته هي الدين والطائفة حين يرتبطان بالسياسة، وما جاءا به من ويلات على الإنسان في بلاده العراق وعلى العرب جميعا، فيرفضهما صراحة وضمناً.

يوضح الشاعر في إحدى قصائده الرفض بصورة رفض الآخر له رفض الآخر الغربي للآخر الشرقي، وهو رفض مبني ينبعث من الماضي الذي أسس في أذهان العرب صورةً نمطية عن الشرق وأهله، حتَّى صاروا بنظره إرهابيين.

وهو يُعبِّر في قصيدته (شباك الجوازات) عن هذا الحال وهذا الرفض وهذا الضياع، الذي يعاني منه العرب مهما كانوا يملكون من جنسيات غربيه، لأنَّهم لا يملكون الكلاب، يحرمون أخذها معهم، وما شابه ذلك من ممارسات حياتيَّة نتيجة الفقه الذي يؤمنون بما يقول، يقول في قصيدته[22]:

أمام عيني بالضبط

ينكسر أصل البشر

وينهار الشعور البسيط بالمصادفة

أمام عيني في شباك الجوازات

تصبح الجغرافيا نفسها شرطياً

وأجدُ نفسي أفقد الجواب عن اسمي

إلى الأبد

التي تكون على شكلِ حوارٍ ضمنيّ ما بين الذات والآخر، والذي قد تكوَّن بفعل الرؤية السياسيَّة التي قسَّمت بني البشر، بين دول متقدمة وأخرى مسحوقة لا حقَّ لها إلاَّ ما يقدمه لها هؤلاء الذين رسموا مسار دولهم كيف تكون، ويقول مستفهماً:

من أنت أيها المسافر قبل أن تصل؟

ما شكل وجهك الولادي بين ملايين النظرات إلى الآخر؟

أنت بلا كلب،

لكن كلبك الصغير ينبح عليك في كل مكان

ودائما توجد صوره اخرى فقدتها وانت تلتقط الصورة

يوجد حفله سخرية منك اينما تقهقرت

من انت قبل ان تُسال " من أنت"!

وكيف انتشرت أحداث العالم لتصل هنا؟

قفْ

في ممرك الداخلي

واعطني

جواز سفرك

ارني عينيك ابتسم

شكرا[23]

يرفض الشاعر هنا التمييز الذي ينتهجه الغرب بين الأجناس والقوميات، بين الشرق والغرب، وبين الشرقيين والغربيين، ويكون العرب موضع شك في أنفسهم تجاه الآخر. فهم يشعرون بالدونية/ وهذه العقدة عقدة الشرق والغرب قد بان موقعها هنا في شعر الشاعر حين يكون على شباك أحد الجوازات في الدول الأوروبية وخصوصاً حين يكون بلا كلب.

ومِن رفضه السياسيّ الذي يأتي بصراحة قوله في إحدى قصائده[24]:

وإذ بموطننا

يصير مختبراً

تذيب اخطاءنا فيه، وتمتحنُ

وإذ بما لا يُرى تُخشى دساتره

وكل حلمٍ

عزيزٍ

فيه

يُمتهن

أهل السياسة

قالوا

قصدُنا حَسنٌ

وإذ به صار عبئاً

ذلك الحسنُ

وإذ معانيه زادت

حدّ أن عميت عيونُنا

واختفى بالغارق

الغصنُ

وانزاح

عن أصله فينا،

ولا عجبٌ

أنَّ الحبيبَ به بالكره مُقترنُ

وبعض من آمنوا نادوا به ((وهماً))

وبعضهم قال ((كلا، إنّه وثنُ))[25]

فالقضية ههنا نقد للوضع السياسي الذي يعيشه البلد محمَّلاً بقيمة الرفض بكونها بنية دالة ومهيمنة ومتمكنة في عموم طرحه الشعري؛ لأنَّ الوضع السياسي برمته لا يتناسب مع متبنياته الفكرية ولا مع آراء المجتمع العراقي وطموحاته، سواء في الحقبتين ما قبل (2003) أو ما بعدها. وهذا الأمر له دواعيه وأسبابه التي وجهته هذه الوجهة؛ لأنَّ الطبقة السياسية لم تجلب غير القتل والموت والطائفية والقتل والتبعية للأجنبي سواء أكان عربياً أم أعجمياً.

ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يكون أحد أنواع الرفض بعينه مهيمنًا على القصيدة بكل تمفصلاتها، فقد وجدنا الرفض يأتي متداخلاً بأنواعه في القصيدة ذاتها أو المجموعة الشعرية عينها. وهذا الأمرُ له دواعيه التي يمكن أن نختزلها بأنها فلسفة الكاتب التي تجمع تجليات الثقافة الكلية ليبثَّها في قصيدته أو مجموعته، من هذا المنطلق الذي يؤمن به ويحرّكه.

نتائج البحث

أولًا: نقد الشاعر الحاد للطبقة السياسية الحاكمة، واستهدافه للطقوس الدينية التي استُخدمت لتحقيق مصالح شخصية.

ثانيًا: في شعر الشاعر وجدنا نقداسياسيا حادا للنظام السياسي السابق والمعاصر، حيث يعبر الشاعر عن رفضه الشديد للظلم والدمار الذي استمر بأساليب مختلفة.

ثالثًا: كان الرفض السياسي جزءا من تجربة الشاعر الشعورية العميقة، حيث يعبر عن الاغتراب والغربة، ويرفض العديد من البنى الاجتماعية والواقع المفروض عليه. يمثل الرفض السياسي المحور الرئيسي في تجربة الشاعر، بينما يأتي الرفض الاجتماعي في مساحة أقل تحمل بين طياتها رفضًا اجتماعيًا عميقًا.

رابعاً: يحاول الشاعر رفض العديد من الظواهر السلبية في المجتمع، مثل النفاق الاجتماعي. كما يصور معاناة الفقراء ويرى أن من مسؤولية الدولة الوقوف معهم ومساندتهم وتلبية احتياجاتهم. يرفض الشاعر الواقع المجتمعي الذي يؤثر سلبًا على الطبقات الضعيفة، ويعبر عن رفضه للعادات والتقاليد والأعراف التي تساهم في تفاقم هذه المشكلات، مما يدل على عدم استسلامه لهذه البيئة.

خامساً: من خلال رفضه للقيود المجتمعية، يظهر الشاعر عدم استسلامه للبيئة والثقافة والتقاليد السائدة، ويحاول تجاوزها وتحدي المعايير التي يعتبرها مقيدة ومثبطة. يسعى الشاعر إلى تغيير الواقع وتجديد الفكر من خلال رفضه للنماذج التقليدية.

هوامش البحث

(1) من صور الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي ، مجلة قضايا عربية ، مج ٨ ،ع ٦ ، السنة ٨ ، حزيران ، ١٩٨١م: ص 92 -93.

(2)أن تقلب الفكرة، فارس حرام، مجموعة شعرية، دار الرافدين، د.ط، بغداد، ٢٠١٩م.ص 92 -93.

(3) استراتيجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي , د. بسام قطوس، مؤسسة حمادة ودار الكندي ، إربد ، ١٩٩٨ م: ص10.

(4) يُنظر: ألبير كامي محاولة لدراسة فكره الفلسفي, د. عبد الغفار مكاوي، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ م. : ص ٧١ .

(5)أن تقلب الفكرة: ص ٧٢.

(6) آفاق جديدة في دراسة الإبداع , د. عبد الستار ابراهيم، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٧٨م: ص127.

(7)أن تقلب الفكرة: ص ٦٦.

(8)أن تقلب الفكرة: ص 67- 68.

(9) أن تقلب الفكرة: ص ٣٨.

(10) يُنظر: ثقافتنا في مواجهة العصر، د. زكي نجيب محمود، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة، ط2، ١٩٧٩ م: ص 20.

(11) يُنظر: المدرسة الواقعية في النقد العربي الحديث , حنا عبود ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق، د.ط، ١٩٧٨م: ص 163.

(12) قصيدة (لماذا نخاف) المنشورة في مجلة طريق الشعب، العدد 43، الثلاثاء 15 تشرين الثاني، 2022م: ص 7

(13) ومن القصائد المهمة في ميدان الرفض الاجتماعي قصيدته المسرحية النجفية، فهي قصيدة قد جاءت بمجموعة مقاطع شعريَّه، يُمكن أن توصف وتصنَّف ضمن الرفض الاجتماعي ، لأنّها في جوهرها نقد للقيم السلبية الموجودة في مجتمعه، والتي تحيط بهم فكرة الرأي الواحد، وفكرة التأويل والأقاويل، وفكرة مصادرة الحريات بما يخص المرأة وتحررها ومحاولة التعبير عنها، فالرفض في هذا النص كبؤرة مركزية في توجه فارس حرام للمجتمع وبيان ما فيه من عيوب وظواهر سلبيَّة.

(15) فلسفة الرفض مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد : غاستون باشلار ، ترجمة : خليل احمد خليل: ص ١٥٣

(16) في سبيل الواقعية بيلنسكي وتشرنيشيفسكي ودبروليوبوف، أ. لافريتيسكي ، ترجمة : د. جميل نصيف، مراجعة : د. حياة شرارة، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٤ م : ص 470.

(17) ان تقلب الفكرة: ص 75 وما بعدها، والتوجه إلى سياسي ما بعد 2003.

(18) كامو والتمرد، روبير دولوبيه ، ترجمة : سهيل ادريس، ترجمة : سهيل إدريس ، منشورات دار الآداب، بيروت ، ط2، ١٩٦٤م: ص 1.

(19) أن تقلب الفكرة: ص ٤٢.

(20) المصدر نفسه : ص ٤٧.

(21) المصدر نفسه : ص٤٩.

(22) المصدر نفسه : ص ٢٢.

(23) المصدر نفسه: ص ١٩.

(24) المصدر نفسه : ص ١٩.

(25)هل أنا نحن؟ (شعر)، فارس حرّام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2025م. : ص 83 -84.